فرحة العيد

جوناثان تيبيرمان

المأزق

كيف تعيش الأمم وتزدهر في عالم يتراجع

Jonathan Tepperman

The Fix

How Nations Survive and Thrive in a World in Decline

Tim Duggan Books/Crown, New York, 2016, 320 pp., $28 (hardcover).

نحن نعيش في لحظة من الخوف العالمي، الذي تعصف به المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي يُرى أنه لا يمكن التغلب عليها. فنحن نرى عدم مساواة شديد في كل مكان وكثيرا ما يزداد سوءا بمرور الوقت. ويثبت المتطرفون بشتى أنواعهم أنهم مستمرون وخطيرون جدا. والتنمية الاقتصادية القابل للاستمرار تثبت أنها صعبة المنال بدرجة تثير الإحباط.

ويعرض جوناثان تيبيرمان تحديا جديدا وفي التوقيت المناسب لفكرة أنه لا يمكن التغلب على أي من هذه المشاكل. فهو يستعرض في مجموعة من التحليلات الواسعة والتفصيلية ١٠ حالات استطاع فيها القادة الأقوياء التغلب على مشاكل محددة — مثل الفساد في سنغافورة، والهجرة في كندا، والفقر في البرازيل والكثير من غيرها — وبنتائج مذهلة ودائمة.

وهي قصص مهمة ويرويها تيبيرمان بشكل جيد. وكمدير تحرير لمجلة الشؤون الخارجية يستطيع المؤلف الوصول إلى شخصيات رفيعة المستوى، وقد بحث بعمق في التغطية الإخبارية والبحوث الأساسية (إفصاح كامل: فهو يشير إلى بعض من أعمالي). والكتاب سهل القراءة وكل فصل من فصوله يثير التفكير. وأنا أدرس مادة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا بشأن مستقبل الاقتصاد العالمي، واعتزم استخدام بعض هذه المواد في السنوات القادمة. وهذا أيضا كتاب عظيم يمكن إعطاؤه للأصدقاء والأقارب خلال موسم الأعياد — إذا كنت تريد أن يُنظر إليك كعضو مشجع، ومع ذلك واقعي، في شبكتك الاجتماعية.

وكجزء من هذا الحديث، وبدون انتقاص من بحوث تيبيرمان أو بلاغته في الكتابة — فإنني اقترح ثلاثة موضوعات ينبغي أن ننخرط فيها بشكل أكبر.

أولا، يسلط المأزق الضوء على ثلاث قصص نجاح اقتصادية — بلدان رفعت دخل الفرد على مدار الخمسين سنة الماضية: سنغافورة وكوريا الجنوبية وبوتسوانا. وهي أمثلة بارزة ومفيدة. ولكن كيف تنتقل هذه الأمثلة عبر البلدان؟ وما البلد الذي يمكن أن يكون لديه مقومات سنغافورة من الموظفين العموميين أصحاب الأجور المرتفعة ولا يوجد فيها فساد أساسا؟ فهل ستنصح أي بلد بالفعل أن يحذ حذو كوريا الجنوبية في تشجيع، وربما دعم، تشكيل عدد قليل نسبيا من الشركات المندمجة الأسرية القوية؟ وهل تتناول بوتسوانا الألماس كمنارة لوضوح السياسات لكل من لديه منجم من الموارد الطبيعية، أم هي مجرد الاستثناء الذي يثبت القاعدة؟

وثانيا، في ضوء الوصول العالمي لتيبيرمان، فإن العدد المحدود من النجاحات الواضحة للغاية يدعو إلى التحلي بالواقعية. فسياسات الحد من الفقر لبرنامج «الحقيبة العائلية» في البرازيل تثير الاهتمام، شأنها شأن الطريقة التي ظلت بها كندا منفتحة إزاء المهاجرين حتى في الوقت الذي تتحدث فيه بلدان أخرى عن إغلاق الأبواب. وبعض الأمثلة الأخرى أحدث زمنيا، ولكنها أيضا أقل إقناعا. فهل وضعت نيويورك المكافئ الخاص بها بحكم الواقع للدفاع القومي — أم أن ذلك لا يمكن أن يحدث إلا على مستوى البلد؟ وهل قلبت المكسيك فعلا اقتصادها وسياستها؟ وهل توصلت إندونيسيا إلى طريقة للتعامل مع المتطرفين الإسلاميين؟ وهل بنت رواندا اقتصادا وسلاما اجتماعيا سيبقى لمدة أطول من القيادة التي وضعتهما؟

وثالثا، ربما ينبغي أن نواصل التريث بشأن الفرضية العامة هنا. وللتأكيد، هناك قدر كبير من الهموم والاضطراب السياسي حول العولمة وانعكاساتها. ولكن الصورة الأكبر مختلفة وأكثر إيجابية بكثير — كما أكدها أرفيند صبرامانيان، الخبير السابق بالصندوق وحاليا كبير الاستشاريين الاقتصاديين في الحكومة الهندية. فقد تباعد العالم تباعدا شديدا، من حيث مستويات الدخول والظروف المعيشية وقت الثورة الصناعية في مطلع ومنتصف القرن التاسع عشر. ولم تتقلص الفجوات بين الأمم الأحسن حالا والأسوأ حالا خلال الحروب وانتهاء الاستعمار ودورات الانتعاش والكساد التي حدثت في القرن العشرين. ولكن لم تجلب السنوات العشرين إلى الثلاثين الماضية — أي أحدث فترة من العولمة — صعود الصين فحسب، بل أيضا منافع الإصلاح الاقتصادي والتجارة عبر مجموعة واسعة من البلدان. ولا تزال الأماكن الفقيرة تواصل التقارب مع مستويات الدخول في البلدان الغنية. ومن المؤكد أن العولمة تجلب السخط، ولكنها جلبت في حالات كثيرة أيضا منافع عديدة لمئات الملايين (وربما مليارات) من الناس.

نحن نرى عدم المساواة في كل مكان.

لقد كان تيبيرمان على حق في التركيز على الشخصيات الكاريزمية وإسهاماتهم. فذلك يجعل الكتاب سهل القراءة وممتعا. ولكن هل يتعلق التاريخ—والتنمية الاقتصادية— بالرجال العظماء (ومعظمهم من الرجال في قصص تيبيرمان)، أو هل هو يتعلق أساسا بالعمليات الأوسع نطاقا التي تنشئ الشريحة المتوسطة، وتسمح للديمقراطية بأن تترسخ، وتشجع على وضع حقوق إنسان تتسم بمزيد من القوة والحماية والشمول للجميع؟

سيمون جونسون
أستاذ رونالد كورتز لريادة لأعمال، كلية سلوان للإدارة بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا؛ وكبير الزملاء، معهد بيترسون للاقتصاد الدولي

النظرة الطويلة

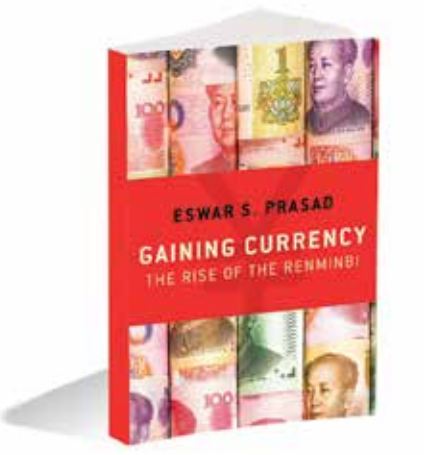

إسوار براساد

مكاسب العملة

صعود الرنمينبي

Eswar S. Prasad
Gaining Currency

The Rise of the Renminbi
Oxford University Press, 2016, 344 pp, $29.95 (hardcover).

ما الذي يمكن ألا يعجبك في كتاب يتناول سلسلة الأحداث الكاملة من قوبلاي خان إلى ماو زيدونغ إلى دونالد ترامب؟

فهذا هو نطاق ومدى كتاب إدوارد براساد الجديد بعنوان مكاسب العملة: صعود الرنمينبي. ويستند المؤلف في هذا الكتاب إلى الإنبهار الحالي بكل شيء في الصين ليروي كيف صعد الرنمينبي إلى هذه المكانة البارزة عالميا والتحديات التي تواجه الصين في المستقبل وهي تتطور إلى اقتصاد قائم على السوق ومدمج تماما في النظام العالمي.

وسلكت الصين حتى الآن مسارا رائعا وفريدا ليكون الرنمينبي عملة عالمية. ويصبح ذلك واضحا في كيفية وصف براساد للطريقة التي تجنبت بها الصين الطريق النموذجي لتحرير الحساب الرأسمالي، وسمحت بدلا من ذلك بوجود فتحات منفصلة ومراقبة في ضوابطها الرأسمالية تسمح للنقود بالتدفق إلى الداخل والخارج. ويتضح مسار الصين الفريد مرة أخرى في إدراج الرنمينبي في الفترة الأخيرة في سلة العملات التي تشكل حقوق السحب الخاصة لصندوق النقد الدولي؛ وفي جهود الصين لإنشاء مؤسسات جديدة للتعاون المالي الدولي مثل المصرف الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية؛ وفي زيادة اهتمام الصين السياسي والاقتصادي من خلال الدعم المالي عبر الحدود. وأخيرا، يرصد براساد صورة أكبر من ذلك للحالة الاستثنائية للصين كما يصف بها محاولة البلد غير المسبوقة لتنفيذ نظام اقتصادي قائم على السوق ومتحرر مع الحفاظ على «حكم بحزب واحد . . . بدون نظام سياسي مفتوح ولا سلطة قضائية مستقلة.»

ويوجههنا براساد بشكل كامل عبر مختلف التحولات والمنعطفات التي مرت بها الصين وهي تصعد بمكانتها في النظام العالمي، التي تتوافق مع حجمها الاقتصادي. فيرسم لنا صورة لكل من أخطاء ونجاحات إدارة في بيجين تنظر نظرة طويلة وتستغل الفرص بدهاء لدفع المصالح القومية للصين. ويتناول الكتاب بعناية البلاغة القاتمة للإصلاح ليشير إلى ما يحدث على أرض الواقع، بخلاف ما يكتب على الورق.

ومن نقاط القوة الخاصة لهذا الكتاب هي أن براساد يتمهل ليوضح للقارئ الأفكار التي تنطوي عليها العملة الاحتياطية وما معنى «تدويل» الرنمينبي وكيف تتعلق هذه المفاهيم بانفتاح الحساب الرأسمالي. وكنت أتمنى لو أضاف براساد بعض الرسوم البيانية وهو يرسم هذا المسار للمساعدة في توضيح ما يسرده، وربما يكون ذلك انعكاسا لميولي الذاتية للاقتصاد.

ويصل هذا الكتاب إلى أقصى درجات الإثارة والتنوير عندما يحاول الخروج من الغيوم ويعكس الدوافع السياسية وراء مختلف اختيارات السياسات. فكيف كانت تُتخذ قرارات ربط العملة وعدم ربط العملة بالدولار الأمريكي؟ ولماذا أصبح الانضمام إلى حقوق السحب الخاصة مرحلة رئيسية مهمة للصين؟ وما هي الآفاق المحتملة للإصلاحات الاقتصادية والقضائية والسياسية؟ ويسلط براساد الضوء بشكل مفيد على الصراع والانفصام الذي تعاني منه النخبة السياسية الصينية التي تريد حرية الاختيار المتأصل في اقتصاد السوق، ولكنها تبدي في الوقت نفسه عدم إقبال على المخاطر متعمق الجذور يعود بها دائما إلى عقلية التخطيط المركزي وتأكيد سيطرة الحكومة على النتائج (وخاصة عندما يبدو النمو متعثرا). ويعرض كذلك سياقا عن طريق رصد أساس رد الفعل الدولي للإجراءات الصينية، وخاصة بشأن العلاقة المعقدة مع الولايات المتحدة على سعر صرف الدولار مقابل الرنمينبي.

كأطراف خارجيين، فإننا لا نعلم أبدا ما الذي يحدث.

وانتقادي الواحد البسيط للكتاب هو أنه يعرض منظورات من خلف الكواليس للدوافع السياسية المحلية بوصفها نهائية نوعا ما. فالسياسة الصينية كالمتاهة وغامضة. والحزب الشيوعي في الصين غير مكون من نسيج واحد بشكل لافت للنظر، ودائما ما يتم إخفاء المعارضة وعدم الاتفاق تحت السطح. وهناك منافسة حيوية بين الأفكار في الإدارة وسط أنماط متغيرة باستمرار للتحالفات الداخلية. وتجعل كل هذه العوامل من الصعب للغاية تشخيص وفحص وتفسير واستنباط الدوافع السياسية التي ترتكز عليها الدوافع السياسية. وينبغي أن يتقبل بتواضع أي تخمين للعوامل التي تدفع فعلا المكائد التي تدور خلف الكواليس، أننا كأطراف خارجيين لا نعلم أبدا ما الذي يحدث.

وهناك مقولة مأثورة صينية قديمة تقول إن الشخص المعني بالموضوع عن قرب قد يكون أعمى في حين أن المارين يرون بوضوح. ويصح هذا بالتأكيد عن هذا الكتاب. فبراساد غير مثقل بأي إيديولوجية سياسية ولا مصلحة قومية، ويقود القارئ عبر التحديات الجيوسياسية والاقتصادية المعقدة المرتبطة بالرنمينبي — ويفعل ذلك بكلام إعلامي بسيط وجذاب.

نيجل شوك
نائب مدير، إدارة نصف الكرة الغربي في صندوق النقد الدولي.

استعراض الكتب

تطور الثورات

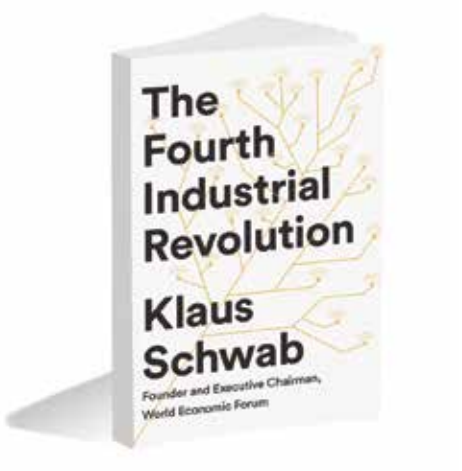

كلاوس شواب

الثورة الصناعية الرابعة

Klaus Schwab
The Fourth Industrial Revolution

Crown Business, New York, 2017, 192 pp., $28 (hardcover).

يأخذنا كلاوس شواب في هذا الكتاب القصير الرائع والجميل في جولة مبهرة لثورة تكنولوجية واقتصادية واجتماعية. فقد نقلتنا الثورة الصناعية الأولى من القوة العضلية إلى القوة الميكانيكية بين عامي ١٧٦٠ و١٨٤٠، وأتت الثورة الثانية بالإنتاج الضخم في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وقدمت الثالثة الحواسيب الكبيرة والحواسيب الشخصية والإنترنت طوال تسعينات القرن الماضي. وتستند الثورة الرابعة وفقا لشواب إلى الثالثة ولكنها أوسع وأهم بكثير. فالماكينات أصبحت ذكية ومرتبطة ببعضها البعض، وتسهم في انصهار ديناميكي للتكنولوجيات في الجوانب المادية والرقمية والبيولوجية وتؤدي إلى تغير «يختلف عن أي تغير شهدته البشرية من قبل.»

وأصبحت مناقشة الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية للثورة التكنولوجية الحالية مسألة مألوفة. والشيء المميز في هذا الكتاب هو «روح دافوس.» فشواب هو مؤسس ورئيس المنتدى الاقتصادي العالمي، وهو منظمة غير حكومية دولية مستقلة مخصصة لتحسين العالم وتشتهر بتجميعها في دافوس كل سنة لقادة من «الشركات والحكومات والمجتمع المدني والمنظمات الدينية والهيئات الأكاديمية والشباب.» ويستند شواب إلى معارفه في المنتدى الاقتصادي العالمي ومجموعة غنية من تقارير المنتدى لمحاولة فهم ما تعنية هذه الثورة للشركات والحكومات والأفراد والمجتمع.

ويبدأ الكتاب، بجولة دوامية عبر «الاتجاهات الضخمة» للثورة الجارية: الذكاء الاصطناعي، والروبوتات، وإنترنت الأشياء، والمركبات ذاتية القيادة، والطباعة ثلاثية الأبعاد، وتكنولوجيا النانو، والتكنولوجيا البيولوجية وما إلى ذلك. ولا يركز شواب على التكنولوجيات الفردية ولكن الاجتياح الشامل للتغيير: الانتشار غير المسبوق «للعوامل المثيرة للاختلال» مثل موقع Airbnb والهاتف iPhone والآن السيارات ذاتية القيادة؛ وانخفاض دور العمال. وحققت الشركات «الثلاث الكبيرة» في سيليكون فالي في عام ٢٠١٤ نفس الإيرادات التي حققتها شركات السيارات الثلاث الكبيرة في ديترويت في التسعينات، وثلاث أضعاف رأسمالها السوقي وعشر مرات عدد عمالها.

وسيترتب على ذلك نموا اقتصاديا هائلا. وينظر شواب إلى ما هو أبعد من «حقيقة التضاؤل» لروبرت غوردن والتي تفيد بأننا لم نر انطلاقة ولكن تباطؤا في نمو الإنتاجية منذ السبعينات في الولايات المتحدة على الأقل، باستثناء طفرة قصيرة مدفوعة بالإنترنت في التسعينات. وهو يدعي أن المنافع لم تتحقق حتى الآن، حيث يقول له معارفه في المنتدى الاقتصادي العالمي إن الثورة الصناعية الرابعة مجرد في بدايتها، ويكافح القادة لتفعيل ما يجب أن تكون ثورة في الهياكل الاقتصادية والتنظيمية من أجل الاستفادة.

وتستعرض بقية الكتاب مجموعة واسعة من التحديات والفرص للشركات، والمؤسسات الوطنية والعالمية، والحكومات، والمجتمع والأفراد. فهل ستطلق الثورة مرحلة ازدهار جديدة وتعطي العمال وظائف إنتاجية جديدة، أو هل سيترتب على ذلك بطالة ضخمة؟ وبالنسبة لشواب، فإن «التاريخ يبين لنا أنه من المرجح أن تكون النتيجة في الوسط» نظرا لأن المسالة الأساسية تتمثل في حفز النتائج الإيجابية ومساعدة أولئك الذين يقعون في الوسط.

فهل سيؤدي الاقتصاد القائم على الطلب، بطريقة شركة Uber، ومرونة وتنقل الاقتصاد الرقمي العالمي إلى تمكين الناس أو يؤدي إلى سباق إلى القاع؟ وبالنسبة لشواب فإن «التحدي الذي نواجهه هو استحداث أشكال جديدة من العقود الاجتماعية وعقود العمل . . . التي تقيد التطورات السلبية . . . ولا توقف نمو سوق العمل ولا تمنع الناس من العمل بالطريقة التي يختارونها ... فالاختيار هو اختيارنا.»

الشيء المميز في هذا الكتاب هو «روح دافوس.»

ويكون هذا الكتاب أكثر قوة عندما يستعين شواب بمعارفه في المنتدى الاقتصادي العالمي وسياقه للتأكيد على التحديات لفرادى أعضاء المنظمات التي تواجه الثورة. وقد خرجت بانطباع جديد — مثل المقولة التي تفيد بأن سمك القرش يجب أن يسبح للبقاء حيا — فإن علينا أن نتعلم ونتغير. «فالطريق لن يزداد إلا سرعة وبالتالي ستتطلب الرحلة نظرة جادة وصادقة إلى قدرة المنظمات على العمل بسرعة ومهارة.»

وقد قضيت بعض الوقت لفهم فحوى الكثير من هذه الخلاصات؛ واعتقد أنني كنت أبحث عن توصيات محددة بشأن السياسات. غير أنه لفهم الغرض من هذا الكتاب، علينا أن نعود إلى دافوس وفكرة أن التعاون يتيح «منظورا شاملا لما يحدث . . . ويعتبر حاسما لتطوير وتنفيذ أفكار وحلول متكاملة ستؤدي إلى تغير قابل للاستمرار.» ويسعى هذا الكتاب إلى بناء فهم شامل للثورة الصناعية الرابعة، ولكنني أشعر بالقلق، وأنا متأكد من أن شواب يشعر به أيضا، من أن الفهم الجماعي لنخبة العالم ليست كافية للتغلب على التحديات القادمة.

أندرو برغ
نائب مدير
معهد صندوق النقد
الدولي لتنمية القدرات